رخصة

قيادة الذات

تأليف

إيمان بنت عبداللطيف كردي

د./ عبدالله بن محمد بهجت



ح عبدالله محمد بهجت و إيمان عبداللطيف كردي ، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بهجت، عبدالله محمد

رخصة قيادة الذات . / عبدالله محمد بهجت ؛ إيمان عبداللطيف كردي.

المدينة المنورة ، ١٤٢٨هـ .

٩٤ص ؛ ٢٢×١٦ سم

ردمك : ٧-٣٨٧-٥٧-٩٩٦٠

١- علم النفس الإسلامي أ- كردي، إيمان عبداللطيف (مؤلف مشارك) ب- العنوان

رقم الإيداع : **١٤٢٨/١٥٧٥**

ردمك : **٧-٣٨٧-٥٧-٩٩٦٠**

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م







المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة - شارع الستين
هاتف: ٨٣٦٦٦٦٦ - فاكس: ٨٣٨٣٢٢٦ ص.ب (٩٠١)
فرع الضيافة - إمتداد شارع أبي ذر هاتف: ٨٣٦٢٩٩٣ - فاكس: ٨٣٤٤٩٤٦
موقعنا على الإنترنت: www.daralzaman.com
البريد الإلكتروني: zaman@daralzaman.com

Saudi Arabia - Madina Munawara - Al-Sitteen Road
Tel: 8366666 - Fax: 8383226 P.O. Box: 901
Al-Deyafa St. Ext. Abazar St. Tel: 8344946 / 8362993
website: www.daralzaman.com
email : zaman@daralzaman.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قيادة الذات



القيادة مأخوذة من القِياد وهو الحَبْل الذي يُشَدُّ على الدابَّة فتخضع به وتنقاد.

وهو في العصر الحالي مِقْوَدُ السيارة الذي يُمسكه قائدها فيسيّرها كيف يشاء.

والسائق المتهوِّر هو الذي يُسرع في قيادته بطريقة غير متأنية ولا يراعي في ذلك قواعد المرور ويتجاوز الإشارات

الحمراء وربما يصطدم بسيارته هنا وهناك.

ونحـن في هذا البحـــث لا تهمنـا قيادة السيارة ولا قيـــادة الدابَّة فهناك دابة من نوع آخر قـد أُهملـتْ وتُركـتْ لتسرح في جوانب هذه المعمورة مع أنها الأَوْلَى بأن تُساس والأَحرى بأن يُكبَح جِماحُها وتُقاد لتنقاد.

إنها الذات، أنفسنا التي بين جنبينا، وهي التي سوف نمتطيها في هذا البحث ونأخذ بقيادها.

كثير من الناس يسيرون في هذه الحياة كريشة جرفتها الرياح وذهبت بها كلَّ مذهب ربما يكون ذلك بدافع حبِّهم الشديد لأنفسهم؛ فحسبوا أنَّهم بذلك يحققون لها آمالهـا ويَصـلون بهـا إلى مُبتغاهـا، ويحققـون لهـا بـذلك غايـة المتعـة والسعادة.

ويتفاوت الناس في قيادتهم لتلك النفس لاختلاف نظرتهم للحياة فمنهم من أمسك بالمقود ومنهم من تركه ظانّاً أنها آلـة ذكية سهلة القياد وليست بحاجة إلى قائد فجَمحَتْ بهم وانحرفتْ عن الطريق. ومنهم من توقفـتْ دابَّتـه عـلى قارعـة الطريـق وصدَّتْها العقبات والحُفَر.

وسنطرح في هذا البحث مجموعة من النقاط و التساؤلات المهمة ثم نقوم بتحليلها و الإجابة عليها حتـى نـتمكن من الحصول على رخصة القيادة في نهاية البحث بإذن الله.



مؤهلات الحصول على رخصة القيادة :

يظل المرء مَقــوداً وتابعـاً ومُحاكيـاً في كثير من أموره الشخصية، وقد لا يملك لنفسه الخيار في كثير من الأمـور؛ فوالداه يتوليان غالب شؤونه حتى يصل إلى سن البلوغ، عندئذ يكون مؤهَّلاً لكي يقود نفسه بنفســه. ويجـب أن يربيـه والداه ومعلموه على القيادة الذاتية ويُهيَّأ لها منذ الصغر وذلك بإلزامه بمسئوليات صغيرة تتناسب وحداثـةَ سـنّه حتـى يتعلم الاستقلالية ويجيد القيادة مبكراً.

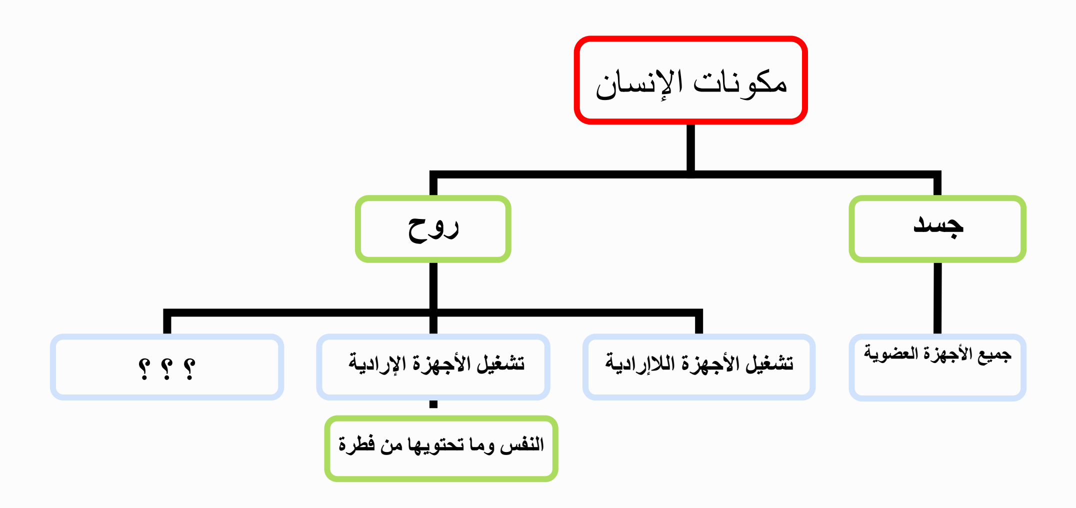


أصول وقوانين القيادة :

تعرَّف على الآلة التي تقودها :

قبل الشروع في عملية القيادة يجب أن تتعرَّف على هذه الآلة وتتفحَّص أجزاءهـا ومكوِّناتهـا؛ فقائـد السـيارة لا يستطيع أن يقودها بمهارة إلاَّ إذا تعرّف على أجزائها (الكوابح، البنزين، جميـع الأزرّة والمشـغلات، البطّاريـة ...) ولا

يستطيع إصلاحها إلاَّ إذا تعرّف على كل جزء فيها، كذلك النفس لا بدَّ من معرفتها ومعرفة مكوناتها، فما هي مكونات النفس :



أ- الجسد:

خلق الله الإنسانَ واقتضتْ حكمته سبحانه وقدرته المعجزة أن يجعله من اتحاد عنصرين متقابلين :

مادة طينية منشؤها التراب والماء :

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات : ١١].

ويحتوي هذا الجسد جميع الأجهزة العضوية، ويعتبر الجسد مطيَّة الروح لتتكيَّف على المعيشة على هذه الأرض.

ب- الروح

جسم نوراني[1] خفيف حيٌّ متحرك يَنْفُذُ في جوهر الأعضاء ويَسري فيها سريان الماء في الورد والدُّهن في الزيتون، والنار في الفحم. وربما نَصِفه في هذا العصر بسريان الكهرباء في الآلة.

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ج١/ ص٤٤٣.

ميَّز الله الإنسان بهـذه الـروح وشرَّفهـا إذْ أضـافها إليـه سـبحانه إضـافة تشريـف فهـي روح مخلوقـة اختصَّـها بخصائص وشرَّفها على سـائر المخلوقات.

وتحتوي هذه الروح على عددٍ من (الأوامر التشغيلية) إنْ صحَّ التعبير لتشغيل الجسد الذي تسكنه؛ فهي أوامـر من لدن خالقها العظيم سبحانه لتسيّر هذا الجسد وفق ناموس كتبه الله وإلى أجل محدود لا يتغـير ولا يتبـدل. وتنقسـم هذه الأوامر إلى :

١) تحتوي هذه الروح على برنامج تشغيلي للأجهزة والأعضاء اللاإرادية :

كالجهاز الدوري وجهاز الهضم والتنفس؛ فهي أوامر جبرية زُوِّدت بها الروح لتعمل فور دخولها الجسـد ولـيس للإنسان دخل فيها. قـال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر :٤٩] فقَدّر هذه الروح الإنسية لكـلٍّ روحـه التـي تخصه ويتميز بها عن غيره وهي دقيقة ومفصلة تفصيلاً عجيباً وفق تقدير إلهي لا يَحيد فإذا سكنت الجسدَ نفَذَتْ بأمر ربهـا إلى كل نواة في كل خلية فتبعث فيها الحياة والحركة.

فقلبه ينبض بمعدل ٧٠ نبضة في الدقيقة ورئتاه تُطلقان الزفير والشهيق بمعدل ١٦ مرة في الدقيقة، وحرارتـه لا تتجاوز ٣٧ درجة في الوضع الطبيعي، وغُدَده تُفرز العصارات المختلفة في نظام دقيق لا يعتريه الخطأ أو النسيان.

٢) وتحتوي هذه الروح على برنامج لتشغيل الأعضاء الإرادية:

وللإنسان هنا الإرادة في ضبطه وتفعيله. وهذا البرنامج يسكن القلب أو الفؤاد وهو موضع الاختبار والتكليف والإرادة البشرية، وهو الجزء المكلّف من الروح، وقد يكون هو المسمّى بالنفس، والله أعلم .

أ ـ الفطرة :

وهي مدركات أساسية في النفس يُولَد كل إنسان مزوَّداً بها وهي التوحيد الذي هـو أسـاس هـدف الخليقـة. قـال ﷺ : ((كل مولود يُولَد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه..))[١].

وكذلك الغرائز الطبيعية التي أوجدها الله في الإنسان كالخوف من الأصوات المرتفعة. أو الاطمئنـان إلى الأمِّ والسـكون

(١) البخاري، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج١، و رقمه ١٣٨٥.

إلى صدرها ومَصِّ الثدي للرضاعة وغير ذلك، فهي تقوم بتشغيل الأعضاء الإرادية بصفة أولية قبل تعلّم الإنسان .

ومع دخول الروح في الجسد وسَريانها فيه تتم عملية تنفيذ الأوامر المزوَّدة بها فتتحرك جميع خلايا الجسد مستجيبة لتلك الأوامر وكأنها تقول لبارئها العظيم سمعنا وأطعنا.

ولقد ميَّز الله الإنسان بأنْ جعله مكلَّفاً وجعل له الحواس والعقل والفؤاد ليساعده على أداء التكليف وهو الأمانة المقصودة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني بالأمانة الطاعة عرَضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يُطِقْنَها فقال لآدم : إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يُطِقْنَها فهل أنت آخذٌ بما فيها قال : يا رب وما فيها ؟ قال : إن أحسنتَ جُزيتَ وإن أسأْتَ عُوقبتَ فأخذها آدم فتحمَّلها[1].

---

(١) تفسير الطبري ج٢٢، ص٥٤.

أخي القائد :

وكما ينبغي أن تتعرّف على جهاز تشغيل (دينَمو) السيارة كذلك ينبغي لك أن تتعرّف على جهاز تشـغيل ذاتـك التي تقودها. فكما أن السيارة تتأثر بالزيوت والشحوم الرديئة ويتأثر تبعاً لذلك أداؤها وكفاءتها، كـذلك الـذات تتـأثر بالمعلومات الرديئة التي تِرد إليها عبر مصادر الإمداد وينعكس ذلك على أدائها وكفاءتها[١].

(١) للمزيد انظر كتابنا القرار طريقك إلى المثالية فصل (إمكانية برمجة الإنسان لاتخاذ القرارات الصائبة)

تعرّف على جهاز التشغيل



والآن بعد التعرف على الآلة فلنرسم معاً خارطة الحياة ولنحدد الطريق قبل بدء القيادة :



إذا أردت السفر بسيارتك من مكان لآخر فإن من الحكمة بعد تحديد وجهتك على الخارطة أن ترسم أقصر الطرق للوصول إليها. كذلك الأمر بالنسبة إلى حياتك فأنت مسافر في هذه الحياة،ومرتحل عن هذه الدنيا، فلابدَّ من رسم خارطة الحياة بطريقة شمولية ،وتحديد المكان الذي تريد التوجُّه إليه ومن ثَمَّ تحديد أقصر الطرق الموصّلة.

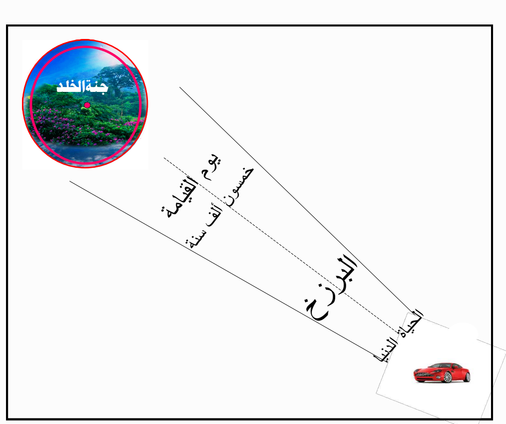
كثير من الناس يبذلون الجهود ويُعدّون الأُهبة ويُكدّسون الأمتعة للسفر إلى مكان قريب قد لا يبعد بضع مئات من الأميال، بينما نجدهم يظلّون سائرين في طريق الحياة الشاقّ بلا عُدَّة ولا عتاد تاركين العنان وزمام الأمور للنفس وأهوائها لتسير بهم في دروب الحياة كيفما اتّفق بغير دراسة أو تخطيط.

ارسم خارطة الحياة وتمعَّن في محتواها :

إن هذه الحياة الدنيا إلى زوال وإلى فناء، ولابد من رسم صورة متكاملة عن الحياة الحقة.

فلا بد إذن من الأخذ في الحسبان أن حياة الإنسان التي يعيشها الآن ما هي إلا مرحلة في طريق الحياة الطويل

فحياتنا حياة أبدية :



والآن تم رسم خارطة طريق الحياة ، فلنحدد الهدف ولنختر أفضل الطرق المؤدية إليه :

أكثر الناس يميلون إلى حب النفس ، والحرص على تلبية رغباتها ، وتحقيق أهـدافها، ولكـن تكمُـن المشـكلة في تحديد الهدف فمنهم من يخطئ في ذلك فيسلك طريقاً آخر لا يؤدي به في النهاية إلى الهدف المنشـود. ومـنهم مـن يحـدد عدة أهداف فيتشتَّت أمره ، وتتشعَّب رغباته ، ولا يتمكّن من تحقيق أي منها.



وينبغي للفرد المسلم أن يوحِّد الهدف ولا يُعدده فهـو الأفضـل لاختيار الحل الأمثل وهو الأكثر إنتاجية والأوضح عند الاختيار.

أما إذا تعددت الأهداف فعندئذ يصعب تحديد الطريق المناسب. وإن كان ولابد من هدف آخـر فلْيَعُـدَّه هـدفاً مرحلياً أو متطلَّباً من المتطلبات الدنيوية. وديننا الحنيف يحثُّنـا عـلى توحيـد الهـدف دائـماً، قـال تعـالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ

ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [القصص: ٧٧].

فهو توجيه من الله سبحانه وتعالى لعبده المؤمن على توحيد الهدف في أي عمل بقوله: ﴿ وابْتَغِ ﴾ وأن يجعل هدفه طلب الدار الآخرة دائماً، وأن يجعل الدنيا متطلَّباً لا هدفاً وذلك بقوله: ﴿ وَلَا تَنسَ ﴾.

وحثَّ على ذلك الرسول الكريم ﷺ بقوله: ((من جعل الهموم هماً واحداً، همَّ المعاد، كفاه الله همّ دنياه، ومن تشعبتْ به الهموم في أحوال الدنيا لم يُبالِ الله في أي أوديته هلَكَ))[1].

وقال ﷺ: ((من كانت الآخرة همَّه جعل الله غِناه في قلبه وجمع له شملَه وأتتْه الدنيا وهي راغمةٌ، ومن كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه وفرَّق عليه شملَه ولم يأتِه من الدنيا إلا ما قُدِّر له))[2] ومعنى مَن كانت همَّه أي هدفه الأوحد وشُغلَه الشاغل الذي يسعى لتحقيقه.

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا (٢/ ١٣٧٥) ورقمه (٤١٠٦) وقال الألباني حسن.

(٢) سنن الترمذي، ج٤/ ص٦٤٢، ورقمه ٢٤٦٥. وقال الألباني صحيح، وفي سنن ابن ماجة (٢/ ١٣٧٥)، ورقمه (٤١٠٥) وقال الألباني صحيح.

إذن فهدف المسلم بلا شك واحد لا ثانيَ له ، وهو طلب الوصول إلى جنة الخلد الـذي هـو قمـة السـعادة التـي ينشدها جميع البشر ولكنَّهم يخطئون تحديد طريقها.

حسناً .. بعد تحديد الهدف اتضح لنا أن هناك ثلاث طرق مؤدّية إليه، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[فاطر :٣٢].



إن المسافر الحصيف إذا أراد السفر إلى مكان ما اختار أقصر الطرق وأقلَّها تكلفة ليوفّر على نفسه المال والوقود. كذلك الأمر بالنسبة للنفس فلنختر من بين الطرق الثلاث أقلها تكلفةً وأقصرها مسافةً وأسرعها وصولاً للهدف.

وقد بيَّن القرآن الكريم أن الظالم لنفسه سيسلك طريقاً طويلة وشاقة وذلك لاشتباك طريقه إلى الله بمسالك أخـرى

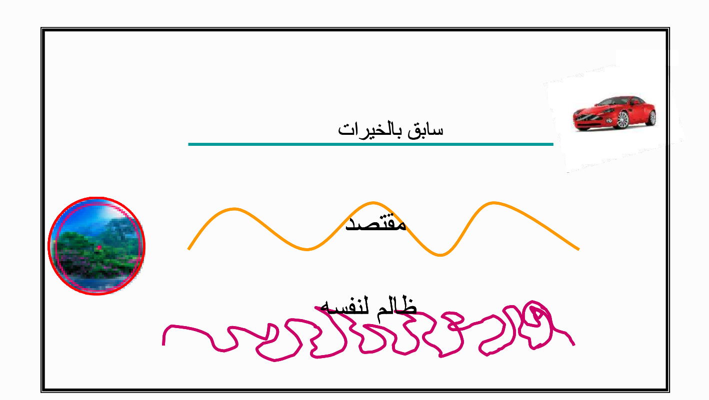
تشعّبت به، فهو يمشي في طريق الهوى والنفس الأمارة تارة وطريق الشيطان تارة ثم الطريق إلى ربِّه تارة أخرى، فهو يرتكب الكبائر والموبقات من رباً وزنا وشرب للخمر حتى تنحرف به الطرق إلى الهاوية فتهوي به في نار جهنم ثم يخرج في نهاية المطاف بمشيئة الله ورحمته. أما المقتصد الذي اقتصر على أداء الفروض والواجبات وترك المنهيَّات وأحسن أداءها فقد أفلح وأنجح ولكن قد تطول طريقه شيئاً ما فيحاسَب حساباً يسيراً ولا يكون مكانه في أعلى الجنة فلذلك الفضل لم يَبلغه عمله[1]. أما السابق وما أدراك ما السابق ذلك الفطن الكيِّس الذي قدم طاعة ربه في كل أموره فكان من أول زمرة تلج الجنة مباشرة وتصعد إلى أعلاها.

---

(١) لأن المنازل العليا من نصيب السابقين الذين تقرّبوا إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ، فمنزلة أصحاب اليمين دون منزلة المقربين كما ورد في القرآن وانظر تفسير ابن كثير قوله تعالى ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٦٢] .



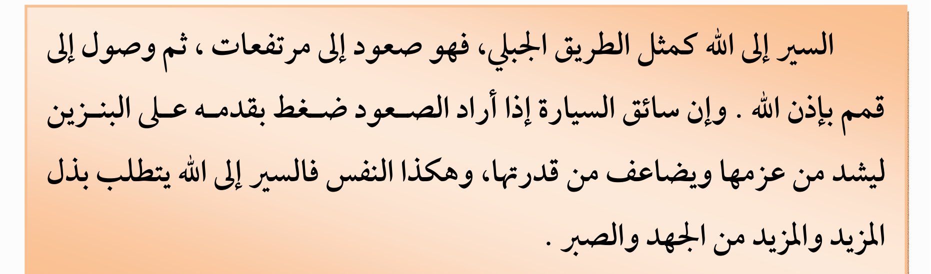
إذن وبعد هذه الدراسة الموجزة يتضح أن أقصر الطرق وصولاً هو طريق السابق



تعرّف على طبيعة الطريق






السير إلى الله كمثل الطريق الجبلي، فهو صعود إلى مرتفعات ، ثم وصول إلى قمم بإذن الله . وإن سائق السيارة إذا أراد الصعود ضغط بقدمه على البنزين ليشد من عزمها ويضاعف من قدرتها، وهكذا النفس فالسير إلى الله يتطلب بذل المزيد والمزيد من الجهد والصبر .

بعد تحديد أفضل الطرق يجب على السائق تحديد الوسيلة الموصلة للهدف :

إن السائق إذا حدد وجهته التي ينوي السفر إليها فلابد من أن يحدد الوسيلة : هل يريد الذهاب بالسيارة مثلاً أم بالقطار أم بالطائرة؟

ولا يختلف اثنان في أن هدف كل نفس والذي يسعى كل إنسان لتحقيقه هو السعادة، ولكن يلتبس على كثير من الناس أمر اختيار الوسيلة لتحقيق هذا الهدف؛ فمنهم من يظن أنه المال فيسعى للوصول إليه بكل الطرق سواء كان

ذلك بطريقة شريفة أو غير شريفة، فلا يتورع عن أكل الربا أو الغش في المعاملات المالية والاحتيال والسرقة، ومنهم من يظن أن العلاقات المحرمة بين الجنسين هي الوسيلة للوصول إلى المتعة والسعادة. ومنهم من يحسب أن سعادته في نيل حريته كاملة بغير شروط فينطلق في هذه الحياة يفعل ما يبدو له. ولذلك افترق الناس في البحث عن الطريق الموصّلة إلى الهدف إلى سبل مختلفة وطرائق قددا. أما المسلم فقد وضع له الشرعُ الحكيم أُسساً وخطَّ له طريق السعادة واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار وحدد له الوسيلة فلدينا المصدر الموثوق الذي لا لبس فيه ولا مجال للشك أو الريبة.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [الذاريات : ٥٦].



فالوسيلة إذن إلى تحقيق الهدف هي العبادة.

قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ

عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء:٥٧].

وذلك بالتزام أوامر الله والبعد عن نواهيه. ويتفاوت المسلمون في تحقيق ذلك فمنهم من يلتزم بها جاهداً قدر المستطاع، ومنهم من يتهاون بها في بعض الأحيان ومنهم من يُفرِّط ويتمادى في تفريطه. ولهذا افترقت السبل المؤدية إلى الهدف إلى ثلاث كما ذكرنا آنفاً فمنهم من بطّأ به عمله وهو الظالم ومنهم من نجا وهو المقتصد ومنهم من فاز وحاز الدرجات العُلَى وهو السابق بالخيرات.

والآن عرفنا الوسيلة و لكن لازالت هناك بعض الأمور المهمة التي يجب توفيرها قبل الشروع في السفر ، ألا وهي الزاد والوقود :

ما من آلة على وجه الأرض إلا وهي بحاجة إلى وقود لتسير وتتحرك، وكما أن وقود السيارة هو البنزين ولا يمكن أن يفكر السائق بالسفر من مكان لآخر بغيره فكذلك القائد لابد له من وقود، ووقود النفس هو الصحة والجهد والطاقة.كما أنه لابد لبدنِهِ من زاد ليتزود به كالطعام والشراب حتى يستطيع السفر ويقوَى على متاعبه وحَرِّه وعطَشه.

فما هو زاد النفس الذي تستهلكه تلك الوسيلة للوصول إلى الهدف؟

إنها الموارد التي زوّد الله بها النفس، وهي التي عناها رسول الله ﷺ : ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسـأل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن عِلمه ماذا عمل فيه)) [١].

وقال ﷺ : ((اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)) [٢].

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٦٠-٦١)، واللفظ له، والبزار في مسنده رقم (٢٤٣٧)، وهو صحيح بشواهده، وذكر نحوه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٣٠٠).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٦)، عن ابن عباس وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وذكر نحوه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٠٧٧).

باستطاعتنا الآن أن نلخص الزاد والوقود في الآتي :



١ – العمر متمثلاً في الوقت، وأخصّه وقت الشباب والفراغ.

٢ – المال.

٣ – العلم.

٤ – الصحة.

وبما أن الوسيلة للوصول إلى الهدف هي العبادة ولا نستطيع بأي حال عبادة الله بغير وقت كما لا نستطيع العبادة بغير مال فلابد منه لشراء الطعام أو لأداء الزكاة أو الكفّارات وما إلى ذلك، وكذا لا نستطيع تحقيق العبادة بلا علم بأصولها وحدودها، ولا نقوى كذلك على أداء بعض العبادات بغير صحة وعافية. فمن رحمة الله بالإنسان أن زوّد هذه النفس ووفّر لها شتى أنواع الزاد والوقود لتستخدمها وتستهلكها في طريقها لتحقيق الهدف.



إننا نرى البعض لا يعرف لما أنعم الله عليه من زاد ووقود قيمة، ولا يُعيره اهتماماً، فتراه ينفقه على أتفه الأسباب، ويُبذِّره بغير حساب، فهو كالطفل الذي لا يعرف قيمة المال بين يديه فيقول به هكذا وهكذا على سبيل اللهو أو ينفقه في

شراء الحلوى. ولذلك قال ﷺ: ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ))[١].

فترى الشاب اليافع يُهدر وقته سُدَىً في أعمال تافهة، وحركات طائشة، و أحاديث مُمِلَّة، لأنه لا يعلم أن هذا الوقت وهذه الصحة والشباب هو زاد الطريق ووقود الآلة.

لذلك قال ﷺ: ((بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنظُرون إلا فقراً مُنسياً أو غِنَىً مُطغِياً أو مرضاً مُفسداً أو هَرَماً مُفنداً أو موتاً مُجهِزاً أو الدجالَ فشرُّ غائبٍ يُنتظَر أو الساعة فالساعةُ أدهَى وأَمَرَّ))[٢].

وكأنه عليه الصلاة والسلام مُشفق على أمثال هؤلاء يستحثُّهم على استغلال الزاد والوقود قبل نفاده.

---

(١) رواه البخاري عن ابن عباس ورقمه (٦٢٦٥).

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري حديث رقم (٤٩١٣) دار ابن حزم ط١ ص٦٢٣. ورواه الترمذي وقال حديث حسن، وقال الألباني ضعيف جداً.





لا تُضيِّعنّ وقتك سُــــدى، ولا تـتعلَّمنّ علـماً لا ينفعـك، ولا تُنفقــنّ صـحتك وجهدك في التوافه، ولا تشترِينّ بمالك ما يكون وباله عليك غداً.

قال أحد السلف : كل يوم يزيد فيه علمك وعملك، تكثر ثمار غرسك وتشكر يوم حصادك.

وقام أبو ذر الغفاري ﷺ عند الكعبة يوماً فرأى الناس حولها زرافات ووحداناً فأحب أن يعظهم فقال : (يا أيها النـاس

أنا جندب الغفاري هَلُمُّوا إلى الأخ الناصح الشفيق. فاكتنفَه الناس فقال : أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً أليس يتخذ من الزاد ما يُصلحه ويُبلغه ؟ قالوا : بلى. قال فسفر طريق القيامة أبْعَدُ ما تريدون فخذوا منه ما يُصلحكم. قالوا ما يُصلحنا؟ قال : حُجوا حَجَّةً لعظام الأمور صوموا يوماً شديداً حَرُّه لطول النشور صلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور،كلمة خير تقولها أو كلمة سوء تسكت عنها لوقوف يوم عظيم، تصدَّقْ بمالك لعلك تنجو من عسيرها اجعل الدنيا مجلسين مجلساً في طلب الآخرة ومجلساً في طلب الحلال والثالث يضرُّك ولا ينفعك فلا تُرده[1]، اجعل المال درهمين درهماً تنفقه على عيالك من حِلِّه ودرهماً تُقدمه لآخرتك والثالث يضرُّك ولا ينفعك فلا تُرده. ثم نادى بأعلى صوته يا أيها الناس قد قتلكم حرصٌ لا تُدركونه أبداً) [2].

- هذا أبوذر يعظ خير قرن رآهم عند الكعبة ومع ذلك أحب أن يزيدهم نصحاً ومعرفة فما باله لو رآنا اليوم

---

(١) في الأصل (لا تريده).

(٢) حلية الأولياء ج١/ ص١٦٥.

عاكفين على الفضائيات ، منكبين على الأسهم وجمع الثـروات ، مضيعين لأوقاتنا في الهذر والمذَر من خلال الشـبكات والهواتف الجوّالات.



تذكَّر أن السفر طويلٌ وشاقٌّ، وقد تسير في صحراء قاحلة لا غذاء فيها ولا قائلة. فالفتاة التي تنفق الساعات في محادثة مع صديقة لها مغبونة، والشاب الذي نراه يلعب الكرة طوال الليل والناس في رمضـان يصـلون القيـام مغبـون

وربِّ الكعبة.

والشباب الذين يتجمَّعون على ما يسمُّونه بجلسات البلوت والشيشة ما أشدَّ غَبنَهم لأنفسِهم وما أشدَّ غفلتَهم.

أعرف كثيراً من المرضى حتى بعد أن أقعدهم كبر السن والمرض لم يزَلْ لديهم من فضل الله ما يُنفقونه في طاعته فمن الممكن استغلال حواسِّهم كزاد للطريق .. فلديهم اللسان القادر على الذِّكر، ولديهم العينان القادرتان على التأمل، ولديهم الأذنان القادرتان على سماع الذِّكر، ولكن من غفلتهم أنَّهم يسخِّرونَها في كسب السيئات، تجدهم أمام تلك الشاشة السوداء من فيلم إلى فيلم ومن أغنية لأخرى حتى يداهمهم الموت.

إذا أنت لم ترحلْ بزادٍ من التُّقَى ولاقيْتَ بعدَ الموتِ مَنْ قد تـــزوَّدَا
ندِمتَ على ألاَّ تكونَ كمِثْلِــــهِ فترصد للأمر الذي كان أرْصَدَا[1]

(١) أعشى ابن قيس ابن ثعلبة ومما يؤسف له أنه مات كافراً.



لا تفكرْ أن تقود الآخرين قبل قيادة نفسك، قُدْ نفسَك أولاً فإذا أتقنتَ القيـادة عندئذٍ يُسمَح لك بالقيادة العامة.

في مدرسة تعليم القيادة :

لا تفكرْ أن تقود الآخرين قبل قيادة نفسك، قُدْ نفسَك أولاً فإذا أتقنتَ القيادة عندئذٍ يُسمَح لك بالقيادة العامة.

جُبِل الإنسان على حب القيادة ولكنْ قيادة الآخرين لا قيادة نفسه. ترى الفرد منا يشعر بالعزة والفخـر إذا سـار في المقدمة وخلفه الأتباع والحاشية، يسيرون خلفه كالقطيع يوجِّههم ويشير عليهم. فهذا الأب في بيته، وهـذا المـدير في إدارته، وهذا الحاكم في رعيته، ولعلَّ من عيوب النفس أن تتمادَى في ذلك حتى تدخل عليها الآفات من كِبر وغرور.

وأنَّى للمرء أن ينجح في قيادة الآخرين وهو غير قادر على قيادة نفسه، عاجزٌ عن إدارة مواردها. فنفسه غارقة في شهواتها وملذَّاتها لا يستطيع كبح جِماحِها ثم هو يقود غيره ، يأمره وينهاه .

قال أحد السلف : لا ينبغى للعاقل أن يطلب طاعةَ غيره وطاعةُ نفسه ممتنعة عليه.

يـــا أيهـــا الرجُـــلُ المعلِّـــمُ غـــيرَه

هـــَلاَّ لنفسِـــك كـــان ذا التعلـــيمُ

تصـفُ الـدواء لـذي السَّـقام وذي الضَّـنَى

كـــي مـــا يصـــحَّ بـــه وأنـــت ســـقيمُ

ابـــدأْ بنفسِـــك فانْهَـــها عـــن غيِّـــها

فـــإذا انتهـــتْ عنـــه فأنـــت حكـــيمُ

وهنـــاك يُســـمَع مـــا تقـــولُ ويُقتَـــدى

بالعـــلمِ منـــك وينفـــع التعلـــيمُ

لا تنـــهَ عـــن خُلـــُقٍ وتأتِـــيَ مثلَـــه
عــــارٌ عليـــك إذا فعلـــت عظيـــــمُ[(١)]

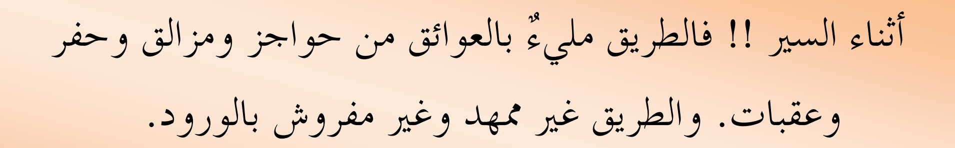


بعد أن عرفنا أصول القيادة وقوانينَها فلنبدأْ الآن بالقيادة فاربط الحزام وعلى بركة الله ولكن :

---

(١) شعر أبي الأسود الدؤلي .




أثناء السير !! فالطريق مليءٌ بالعوائق من حواجز ومزالق وحفر وعقبات. والطريق غير ممهد وغير مفروش بالورود.

فإذا وجدتَ تلك العوائقَ فشَمِّرْ لتخطِّيها واجتيازها، ولا تعجزْ فإن الوقوع فيها يسبب الانحدار والتراجع وربما الانحراف عن الطريق بالكلية.

ما هي العوائق:



١ ـ شرك:

انتشرت في الآونة الأخيرة عوائق شركية مستحدثة، تُلبِّس على المرء دينَه، وتقوده إلى الشرك بالله خاصة مع

دخول البرمجة اللغوية العصبية وبعض أنواع الطب البديل كالماكروبيوتك[١] والريكي[٢] وغيرها نتج عنها عـلى سـبيل المثال :

- الاعتقاد بأن الشموع البيضاء تنشر المحبة.
- حجر الفيروز يُسقط الحمل وآخر يعزِّز الثقة بالنفس.
- الاعتقاد بفكرة (الين واليانج)[٣] وأنها أساس الصحة وهو اعتقاد قائم على عقيدة شركية.

هذا بالإضافة إلى المعتقدات الشركية الخاطئة المنتشرة بين الناس من التمسح بالقبور لاعتقاد نفعها ، أو الاعتقاد بأن بعض الأفعال تجلب الحظ ، أو ترزق الولد ، أو لُبس خرزات معيّنة للوقاية من العين، و ما شابه ذلك.

(١) الماكروبيوتك نظام غذائي يقوم على طريقة فلسفية تستمد جذورها من التراث الصيني القديم فشابتها شوائب البوذية والوثنية وغير ذلك.

(٢) الريكي هو نظام رياضي يقوم على فلسفة الطاقة الكونية المخالفة للدين.

(٣) قطبي الطاقة الكونية المتصرفة في حياة الإنسان من حيث الصحة والمرض والسعادة والشقاء وغير ذلك كما يدّعي معالجو الماكروبيوتك. للمزيد من التفاصيل يرجى الدخول على موقع Alfowz.com.

قال ابن القيم رحمه الله عن الشركيات :

(هي أنواع من المخالفات تعوق المسلم في سيره إلى الله وقد استولت على طوائف من بني آدم من ملوك وولاة وفقهاء وصوفية وفقراء وعامّة، فرُبِّيَ فيها الصغير، ونشأ عليها الكبير، أصحابها مقيَّدون بها حتى جعلوها كالشرع المتَّبع، عمّ بها المصاب، و هُجِر لأجلها السنة والكتاب. فمن تشبَّث بها فهو عند الله مخذول، ومن اقتدى بها دون كتاب الله وسنَّة رسوله غير مقبول).

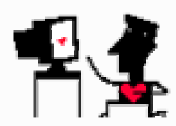
وهي من أعظم العوائق والموانع التي تحول بين العبد وبين الوصول إلى الهدف.

٢ـــ بدعــة:



كذلك انتشرت بعض البدع والضلالات كالاحتفال بأعياد النصارى أو بالمولد النبوي أو بالعمرة الرجبية فإذا لم يتركها العبد فإنها تظل عائقاً في طريق الاستقامة.

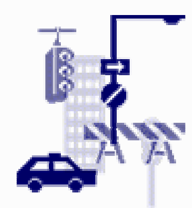


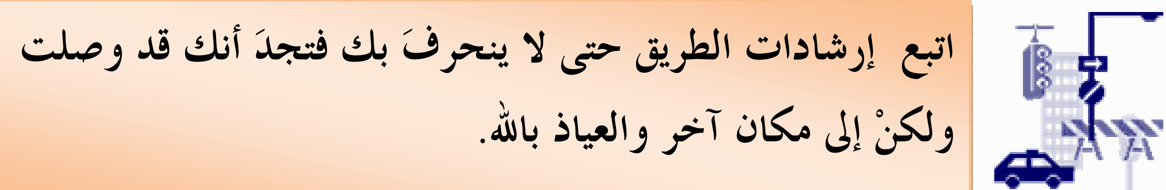


قد يُبتَلَى المرء بصديق سوء يجرُّه إلى المعصية أو الغِيبة والنميمة والخوض في أعراض الغير.

تزول هذه العوائق بالتوبة النصوح والرجوع إلى الحق.

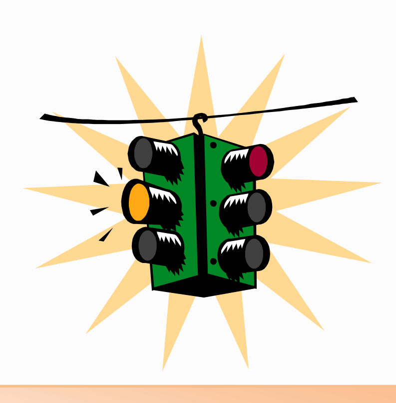






فالسائق الذي يسير على غير هدى فإنه إذا أراد الذهاب شرقاً قد يجد نفسه في أقصى الغرب من حيث لا يشعر؛ لذلك

لابد من الانتباه للأوامر والنواهي فإنها هي إرشادات الطريق وبوصلة الاتجاه .





أن المحرمات تمثل الإشارة الحمراء في الطريق.

والإشارة الصفراء تمثل الشبهات.

والإشارة الخضراء تمثل الحلال والمباح.



حاجات ومتطلبات:

تحتاج السيارة من وقت لآخر إلى تزييت أو تشحيم أو قد ترتفع حرارتها ويتطلب ذلك تبريدها والعناية بها كذلك النفس لها متطلبات تقتضيها طبيعتها البشرية :

١ـ متطلب بدني :



من مأكل ومشرب وراحة للبدن ((فإن لجسدك عليك حقاً)) [١].

---

(١) جزء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فإنه كان يصوم الدهر ويقوم الليل أبداً، فلما أعلم النبي ﷺ، بذلك قال له: ((لا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزَوْرِك [أي ضيفك] عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله)) رواه البخاري في الصوم رقم (١٩٧٥) وزاد مسلم ((وإن لولدك عليك حقاً)) في صحيحه في الصيام رقم (١١٥٩).

٢– متطلب اجتماعي



القيام على أمور الأهل والأولاد ورعايتهم وصلة الأرحام وما إلى ذلك :

((إن لزوجك عليك حقاً))، ((إن لولدك عليك حقاً)) [١].

٣– متطلب مالي:



ومنه السعي في طلب الرزق لاستيفاء الاحتياجات الأساسية من طعام وشراب وملبس ومسكن .

---

(١) التخريج السابق.

٤ـ متطلب ديني :



وهو الفروض والواجبات المطلوبة من المسلم شرعاً، والتي لا حياة للمسلم بدونها. فكما أن سائق السيارة لا يستطيع السير إلا وفق إرشادات وقوانين المرور ولا بد له من دراستها واجتياز الامتحان فيها؛ إذ كيف يقود سيارته وهو لا يعلم متى يتوقف ومتى يعطي أولوية السير ومتى يُهدئ من سرعته.. إلخ.

كذلك القائد لذاته لابد له من اجتياز قوانين القيادة الذاتية المتمثلة في إفعل ولا تفعل المشمولة في الكتاب والسنة والأفضل دراستها واسترجاعها ثم الدعوة إليها لتثبت في الأذهان وبذلك يكون له الحق في ممارسة القيادة عن علم وبصيرة.

ثم عليه الزيادة من النوافل بحسب الوسع والطاقة بحسب الضوابط الشرعية.

وتشترك هذه المتطلبات مع الهدف في استهلاك الزاد والوقود ولا بد أن يستوفي القائد جميع هذه المتطلبات وذلك أمر يتطلب منه حسن إدارة وتخطيط لأن كمية الزاد والوقود محدودة ويجب ألا يطغى استهلاك الزاد والوقود في المتطلبات على الهدف الأساس.



ومن رحمة الله و سماحة هذا الدين الحنيف أن جعل أداء هذه المتطلبات من العبادة وذلك باحتساب النية فيها وأنها من الحاجات التي لابد منها والتي تقتضيها الطبيعة البشرية ما دامت في حد الاعتدال بغير إسراف ولا إفراط لأنها إن زادت عن حدها تحولتْ إلى عوائق تَحُول دون الوصول وتُعرقل مرونة السير ولا يمكن احتسابها فلا بد من إعطائها حجمها المناسب.

لكنْ مما يؤسَف له أن نرى كثيراً من الناس يتجاوز حد الاعتدال بل يكاد يُنفق زاده كله قبل الوصول، مثله في

ذلك كمثل رجل أراد السفر من الرياض إلى مكة المكرمة ثم توقف في الطريق للراحة وهو متطلّب بدني فاختـار أرضـاً هناك وبَنَى عليها داراً ثم شرع في تأثيثها وأنفق في سبيل ذلك ماله وجهده وصحته ووقته وإن سُئِل عن وجهته أكّد بأنه متوجه إلى مكة ولكنه يُريد الراحة لفترة من الوقت في هذا المكان. لا شك أننا سنحكم على هذا الشخص بالحمق والسَّفَه وربما الجنون لأنه أنفق جُلَّ زاده ووقوده الذي هو بأمَسِّ الحاجة إليه في رحلته الطويلة على رفاهيته قبل الوصول.

وأكثر الناس يفعلون ذلك إلا من رحم الله وأنعم عليهم بالعقل الراجح وحسن الإدارة لما أمدّهم من موارد.



إذن فلنعط كل ذي حق حقه ولنحدد الأولويات.

سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول : لبَّيك عن شُبرُمة. فقال : ((من شبرمة ؟)) قال : أخي أو قريب لي. قـال: ((هـل حججت عن نفسك ؟ قال : لا. قال : حُجَّ عن نفسك ثم حُجَّ عن شبرمة)) [1].

وقد يتعلق القلب بالأبناء أو الزوج أو الزوجة وذلك من (المتطلب الاجتماعي) فوق حد الاعتدال فيترك كثـيراً مـن الطاعات بسبب هذه العلائق ولكنها تزول بإعطائها حجمها وعدم الإسراف والتمادي فيها.

ولذلك قال تعـالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ [التغابن : ١٥]. وقال ﷺ: ((إن الولد مَبخَلةٌ مَجبَنةٌ)) [2].

---

(١) سنن أبي داود ج٢:ص١٦٢ ، ورقمه ١٨١١، وقال الألباني صحيح.

(٢) سنن ابن ماجة ،باب بر الولد والإحسان إلى البنات، ورقمه ٣٦٦٦ وقال الألباني صحيح.



احذر الأعداء:

هل للنفس أعداء ؟ نعم للنفس أعداءٌ وقُطَّاعٌ للطريق دأَبوا على التربُّص بها وأَسْرِها وسلب ممتلكاتها. وقد كتب الله الابتلاء في هذه الدنيا والصراعَ بين الخير والشر إلى يوم القيامة.

وأعداء النفس أربعة : قد جمعهم الشاعر في قوله :

إنِّي بُليــت بـأربعٍ مـا سُلِّطـوا
إلا لشــدةِ شِقْــوتي وعنــائي

إبليـسُ والـدنيا ونفسـي والهـوى
كيـف الخـلاصُ وكلُّهـم أعـدائي

وقال آخر:

إني بليت بأربعٍ يرمينني بالنَّبل
قد نصبوا عليَّ شِراكا

إبليس والدنيا ونفسي والهوى
من أين أرجو بينهنَّ فِكاكا

يا رب ساعدني بعفوٍ إنني
أصبحت لا أرجو لهنَّ سواكا



١ – أول أعدائها النفس الأمارة :

ـ فللنفس حالات تكون في إحداها عدوةً لذاتها ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف : ٥٣].

قال ابن القيم :

احذر نفسك فما أصابك بلاءٌ قَطُّ إلا منها فو الله ما أكرمَها من لم يُهِنْها، ولا أعزَّها من لم يُذِلَّها ، ولا جَبَرَها من لم يكسِرْها ولا أراحها من لم يُتعِبْها، ولا أَمَّنَها من لم يُخَوِّفْها، ولا فَرَّحَها من لم يُحْزِنْها[1].

فللنفس رغبات وشهوات وهي تَطلب وتلحّ في الطلب، و بعض النفوس التي حظّها قليل من العلم لا تُفرِّق بين الحلال والحرام، فهي تريد كل شيء فإذا انقاد الإنسان وراءها هلك .

ـ كثيرًا ما نسمع عن فتاة انساقت وراء شهواتها وتعرفت على شاب وحدث ما حدث.

ـ كثيرًا ما نسمع عن شخص انساق وراء رغباته في حب الانتقام للذات فبطش وظلم وقتل النفس التي حرم الله.

فالنفس تحب السيادة وتحب أن تثأر وتنتقم والغضب جمرة ينفخ فيها الشيطان فيشعلها.

---

(١) الفوائد ج١/ ص٦٨.

وهناك خطوات للتعامل مع النفس بالحسنى نستخلصها من وصية ابن القيم السابقة وذلك حتى نأمن جانبها :

١ - أكرم نفسك ولكن لا تحرمها مرارة الذل ففيه كسرٌ لِحِدَّة شهوتها.

ـ هذا أبو بكر ﷺ وهو الخليفة كان يحلب الشاة لامرأة عجوز حتى سمَّتْه ابنتها حالبَ الشاة.

ـ وعمر ﷺ أمير المؤمنين كان ينظِّف بيت امرأة عجوز عمياء من الفضلات والقذر، ولم يكن ثمة مناديل ولا ورق.

ـ وسلمان الفارسي ﷺ كان أميراً على المدائن فجاء رجل من أهل الشام من بني تيم الله معه حمل تبن وعلى سلمان أندرورد[1] وعباءة فقال لسلمان تعالَ احملْ وهو لا يعرف سلمان فحمل سلمان فرآه الناس فعرفوه فقالوا هذا الأمير قال لم أعرفك فقال سلمان لا حتى أبلغ منزلك. وفي رواية أخبر وهب بن جرير بن حازم قال حدثنا أبي قال سمعت شيخاً من بني عبس عن أبيه قال أتيت السوق فاشتريت علفاً بدرهم فرأيت سلمان ولا أعرفه فسخَّرتُه فحملت عليه العلف فمرَّ بقوم فقالوا نحمل عنك يا أبا عبد الله فقلت من هذا ؟ قالوا هذا سلمان صاحب رسول الله ﷺ فقلت لم أعرفك

(١) نوع من السراويل .

ضعه عافاك الله فأبى حتى أتى منـزلي فقال قد نويت فيه نية فلا أضعه حتى أبلغ بيتك[(١)].

ـ البعض منّا قد يأنَف أن يجلس جنباً إلى جنب مع خادمه في غرفته. هـل جرّبَـت المـرأة الجلـوس مـع خادمتهـا لتُعلِّمَها اللغة العربية أو القرآن ؟

٢ـ مَتِّعْها بالمباحات ولكن أَذِقْها طعم الحرمان :

أعطِها مراتٍ وامنَعْها مرات ففي الصوم حرمانٌ ومنعٌ من لذة الطعام والشهوة، وفي التهجُّد بالليل حرمانٌ ومنعٌ من لَذَّة النوم. ولا تستجبْ لجميع رغباتِها وتُلَبِّ جميع شهواتها فالنفس لا تشبع ولا تقف عند حدٍّ؛ فحرمانها فيه دُربـةٌ لها على الطاعة وسرعة الامتثال في الامتناع عن المنهيات. وإن النفس إذا أعطيتَها على الدوام تمَرَّدَتْ ورأتْ أنَّ ذلك حقٌّ من حقوقها.

---

(١) الطبقات الكبرى ج٤/ ص٨٨.

فهذا قارون حينما أعطاه الله ووسع عليه قال إنما أوتيته على علم عندي.

وفرعون تفَرعَن لما أعطاه الله وأغدَقَ عليه فقال أنا ربُّكم الأعلَى.

والنمرود تنمردَ حينما انهالت عليه النعم فقال أنا أُحيِـي وأُميـت فـالنفس تتنمـرد وتتمـرد إذا أعطيـت بـدون حدود .

والنفسُ كالطفلِ إن تتركْه شبَّ على
حبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْه يَنفَطِمِ[1]

٣- أرِحْها مرات وأتعِبْها مرات :

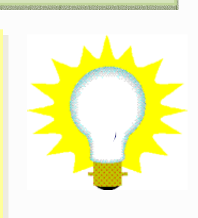
فإنَّ تعبَها في سبيل الله في الدنيا هو في الحقيقة راحتها يوم القيامة وليس هذا إلا للنفس المؤمنة.

---

(١) ديوان البوصيري ج١ ص٢٣٨.

أما النفس الكافرة فقد قـال الله تعـالى فيهـا : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾ [الغاشية : ٢ – ٤].

رأت فتاة صغيرة من بنات السلف والدها يُطيل قيام الليل فقالت له : أراك تُطيل قيام الليل يا أبـتِ لقـد أتعبـتَ نفسك. فقال لها : يا ابنتي راحتَها أريد .



إنَّ كثرة الراحة للنفس في الدنيا من نوم وإضاعة الوقت والعكوف على السوء في تلك الشاشات السوداء تجلب التعب وطول الوقوف والمساءلة يوم الدين. فمُجاهدة النفس في الدنيا هـو سـبيل راحتها الأبدية في جِنان الخُلد.

٤ – أشعِرْها بالأمان ثم عَقِّبْ على ذلك بالتخويف حتى تُوازنَ فيها مشاعرَ الأمن والخوف :

فالنفس إذا تعوَّدتْ على أسلوب التَّربيت على الظهر والتهوين من أخطائهـا وزلاَّتِهـا ودوام تـذكيرها بـأن الله غفـور رحيم تَأمَن مكر الله، ولا يأمنُ مكر الله إلا القوم الظالمون فلابد من تذكيرها بالنار، وبالعقاب الأليم حتى ترتدع وتخاف.

ولنقرأ الآيات والأحاديث التي تُشير إلى الترهيب والوعيد في حال التفريط.

فمن خاف في الدنيا أمّنَه اللهُ من خوف يوم القيامة.

ولا يجمع اللهُ على عبده خوفيْن كما أنه لا يجمع على عبده أمنين أمن في الدنيا وأمن في الآخرة.

٥- أفرِحْها كما أحزَنْتها وأحزِنْها كما فرّحْتَها :

اذهبْ بها إلى نزهة، استمتِعْ بالمناظر الجميلة واطرَبْ مع الأناشيد المفرحة، تذكرْ الجنة وما فيها من نعيم.

وأحزِنْها مرّة بذكر هادم اللذات وذكر أهوال القيامة والمرور على الصراط، وذكْر النار وأهلها. هذا التوازن يربّي في النفس الاستقامة ويُحوّلها من صفوف أعدائك إلى صفوف جنودك.

٢- وثاني أعدائها الشيطان :



بل ألدُّ أعدائها وهو الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم كما ثبت في الحديث، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ

﴿عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر : ٦].

يدخل على أوراق الإنسان في ذاكرته فيعبث بها، وقراراته في عقله فيَحُول دون تنفيذها، ويقينه في قلبه فيُزعزعه ويسعى لخراب ذاته في داخله.

يوسوس له في كل طاعة لينقص له من أجرها، ويسخّر أعوانَه من الجن والإنس من رفيق سوء أو زوج أو ابن أو قريب.

- هذه امرأة تشكو من زوجها الذي يُرغمها على الجلوس مع أصدقائه وضيوفه ليُقال عنه إنه رجل متحضِّر.
- وهذا مدمن لم يَجُرَّه إلى هاوية المخدرات إلا رفقاء السوء .

قال أحد السلف : أفضل الجهاد مجاهدتُك نفسَك لتردَّها إلى الحق، وأوْجَبُ جهاد الأعداء مجاهدة أقربِهم منك وأخفاهم عنك وأعظمِهم لك عداوةً إنه الشيطان الرجيم .



٣- الهوى :

مستعمِرٌ ومُحْتَلٌ للعقل والقلب يسيطر عليه بقراراته السامّة ومشورته الضارة.

لذلك قال الرسول ﷺ : ((لا يؤمنُ أحدُكم حتى يكونَ هواه تبعاً لما جئتُ به)) [١].

وقال ﷺ : ((ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه)) [٢] .

وفي ذلك قال الشاعر :

إذا مـا تَحَيَّرْتَ في حـالـــةٍ

ولم تَدْرِ منها الخَطا والصوابْ

---

(١) فتح الباري ج١٣/ ص٢٨٩ وقال صححه النووي في الأربعين.

(٢) جزء من حديث رواه الطبراني في الأوسط عن أنس وحسّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٠٣٩).

فخالفْ هواك فإنَّ الهوَى

يقودُ النفوسَ إلى ما يُعـابْ[1]

ـ قال ابن القيم : (يدخل عليك لصُّ الهوى وأنت في زاوية التعبُّد في المسجد فلا يزال حتى يخرجك منه)[2].

نعـم يحصــل هذا لكثير من المتعبِّـدين في المساجـد اليوم وخاصة في الحرمين الشريفين لكثرة الأسواق والمطاعم والمغريات حولهما، فقد يخرج المرء من بيته قاصداً المسجد ثم يجد في طريقه تلك اللوحات الإعلانية تخبره عـن موسـم تخفيض الأسعار والذي لم يبق على انتهائه إلا أيامٌ معـدودة فيختـصر وقـت دخولـه للحـرم ليـذهب إلى السـوق والله المستعان.

وقد تناولت إحدى الصحف العربية هذا الأمر بطريقة فكاهية بأن رسمتْ رسما كاريكاتيرياً للتعليـق عـلى بعـض

---

(١) ديوان الشافعي ج١،ص١٦.

(٢) الفوائد ج١/ ص٦٩.

الحجّاج في موسم الحج الذين ينفقون أوقاتهم في الأسواق ويلتهون بذلك عن العبادة التي قدموا من أجلها وكان التعليق عن حاجٍ عائد إلى دياره وعندما وصل إلى المطار حاملاً معه بضائع ومشتروات مختلفة وإذا به ينظر إلى نفسه ليرى أنه لا يزال مرتدياً ملابس الإحرام فصاح واضعاً يده على رأسه قائلاً : آه .. لقد نسيت أن أحج.

٤- الدنيا :



وما فيها من ملذات ومُغريات تساعد الهوى والشيطان والنفس الأمارة فتجتمع وتتضافر الجهود على الفتك بابن آدم المسكين.

نرى الناس اليوم يركضون في سبيل تحقيق ملذاتهم وشهواتهم ولم يعد يهمهم النظر في تحصيلها أَمِن حلال أم حرام.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٤].

وفي الحديث قوله ﷺ: ((... فو الله ما الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ على من كان قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ))[١].

نرى الناس اليوم تنافس وسباق محموم في كل مجال، وفي كل طبقة من طبقات المجتمع... تنافس من أجل المادة أيُّهم يجمع أكبر قدر منها، وفي سبيل ذلك يحدث الظلم والكذب والتدليس والاختلاس والواسطة والحقد والبغضاء، فتُغتصب الأموال وتُنتهك الحقوق كل ذلك من أجل متاع زائل.

مع أن الرزق في الدنيا أمر مفروغ منه، فهو مكتوب له قبل أن يولد مهما سعَى في الأرض وركض ركض الوحوش فإنه لن يأتيَه إلا ما كُتِب له ولم ينل من ركضه إلا التعب والنصب. فقد قال ﷺ : ((إنَّ الرزق ليطلبُ العبد أكثر مما يطلبه أجله))[٢]. وقال: ((لو أنَّ ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه

(١) صحيح البخاري ج٤/ ص١٤٧٣ ورقمه ٣٧٩١.

(٢) المنذري، الترغيب والترهيب، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ورقمه (١٧٠٣).

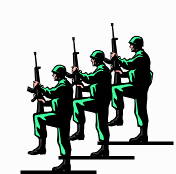
الموت))[1].

ـ وقال محمود الورّاق:

أراك يزيـدُك الإثـراءُ حرصـاً
على الدنيـــا كأنـك لا تمـــوتُ
فهل لك غايةٌ إنْ صرتَ يوماً
إليها قلتَ حسبي قد رضيــتُ



(١) حلية الأولياء، أبو نعيم، (٧/ ٩٠، ٧/ ٢٤٦) وحسنه الألباني في الصحيحة (٢/ ٩٥٢).



هل للنفس جنود تدرأ بهم كيد الأعداء وتصد هجومهم؟

نعم من عدل الله سبحانه و تعالى ورحمته أنه لم يترك العبد فريسة للأعداء من غير أن يزوده بما يستطيع أن يـدفع عنه ذلك الخطر، ويصد عنه ذلك الهجوم، فجعل له جنوداً يعينونه للدفاع عن نفسه والتخلص من الأعداء.

قال ابن القيم رحمه الله :

(فاقتضت رحمة ربِّه العزيز الرحيم به أن أعانه بجند آخر وأمدَّه بمدد آخر يقاوِم به هذا الجند الذي يريـد هلاكـه فأرسل إليه رسوله وأنزل عليه كتابه وأيَّده بملَك كريم يقابل عدوَّه الشيطان فإذا أمره الشيطان بأمرٍ أمـرَه الملَـك بـأمرِ ربِّه وبيَّن له ما في طاعة العدو من الهلاك فهذا يُلِمُّ به مرةً وهذا مرة والمنصور مَـن نصره اللهُ عـزَّ وجـل والمحفـوظ مـن حفظه الله تعالى وجعل له مقابل نفسه الأمَّارة نفساً مطمئنة إذا أمرتْه النفس الأمَّارة بالسوء نهتْه عنه النفس المطمئنة وإذا نهتْه الأمَّارة عن الخير أمرتْه به النفس المطمئنة فهو يُطيع هذه مرةً وهذه مرةً وهو للغالب منهما، وربما انقهرتْ إحـداهما بالكلية قهراً لا تقوم معه أبداً وجَعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمارة نوراً وبصيرة وعقلاً

يردُّه عن الذهاب مع الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمارة، فكلما أراد أن يذهب مع الهوَى ناداه العقـل والبصيرة والنور : الحذرَ الحذرَ فإنَّ المهالك والمْـَتالف بين يديك وأنت صيد الحرامية وقطَّـاع السـلام إن سرتَ خلـف هذا الدليل، فهو يطيع الناصحَ مرة فيبين له رشدَه ونصحَه، ويمشي خلف دليل الهوى مرة فيقطع عليه السلام)[1].


ونلخص ذلك كالتالي:

النفس الأمارة	←	النفس المطمئنة
الشـيطـــان	←	الحفَظة والمعقّبات والتحصين بالذكر
الهـــــوى	←	نور الإيمان والبصيرة
الدنيـــــا	←	التفكر في الجنة

(١) الوابل الصيب ص٢٨.

فقد تَهمُّ النفس الأمارة بعادة سيئة اعتادت عليها فتردعُها النفس المطمئنة.

وللشيطان مداخل عديدة ومتنوّعة يدخل بها على النفس منها الإسراف والغفلة، وتَكَلُّف ما لا يعنـي مـن الأمـور والإعجاب بالنفس، فيزيِّن له أعمالَه ويَحمَدُه عليها ويُحبِّب له طلب الْمَحمَدة من الناس، ويدخل عليه من باب الشـك في العبادة حتى يحمله على إعادة الوضوء أو الصلاة مراراً، فهو يختبر النفس ويدخل عليها من باب الـواعظ الـذي يريـد لهـا الخير فقد يُزين لها عبادةً لا أصل لها في الشرع حتى يوقعَها في بدعة، أو يُوغر الصدر بالحسد والغِلِّ وحُـب الانتقـام وهنـا يردعه التحصين بالذكر ويدفع أذاه.

وقد يأمر الهوَى بالتمادِي في لذةٍ ما والاسترسال معها ، فيردعُه العقل قائلاً له : تعقّلْ، لقد أضعتَ مالَك، أفنيْتَ عمرك، ارجع، تُب إلى رشدك.

ـ ومقابلَ الدنيا وفتنتِها يتذكرُ الوعدَ بنعيمِ الجنة فتتضاءَلُ الدنيا وزينتُها. والنصر في هذه المعركـة يترتـب عـلى الإيـمان والصلاح.

ولا تزال الحرب سِجالاً بين الأعداء والجنود، والمنصور مَن نصره الله.

والزادُ والوقود يَدْعَمُ الأقوَى في المعركة فإذا كانت قُوَى الشرِّ هي الغالبة استولتْ على الزادِ والوقودِ أو معظمِـه وسخَّرتْه في صالحها.

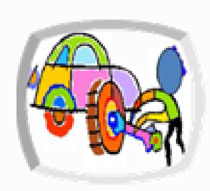


ورشة الصيانة لإصلاح الذات



يحرص السائق على عمل فحص دوري كل عام لسيارته وتتبُّع ما قد يحدث لها من خلَل أوضعف ، فيجددها في كل مرّة ، لتستمر في أدائها بقدرة عالية ، وأداء جيد . فالنفس أشدُّ حاجة إلى الصيانة الدورية من الآلات الصـمّاء ولكـنَّ كثيراً من الناس يُهملونها فينحدر بها مستوى الأداء وتتدنَّى إنتاجيتها ولا يتنبه صاحبها لذلك.

فلابد لقائد هذه النفس من أن يُدخلها ورشة الصيانة بصفة دورية للقيام بأعمال الفحـص والتأكـد مـن سـلامة الأجهزة وما ينتج عنها من قول أو فعل. قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ [الشمس : ٩].



وهذه الورشة تنقسم إلى قسمين :

أ – صيانة وإصلاح ذاتي (داخلي):

إن الإيمان في قلب المؤمن يعمل كجهاز الدفاع ضد الأعداء أو الأخطار، وهو بمثابة جهاز التنظيف وصقْل الأجهزة وتشحيمها ويكون ذلك :

١ – بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح:

أرأيت كيف تكون السيارة إذا عاد أحدنا من سفر، أرأيت كيف يتراكم عليها التراب وتلتصق بها الأقذار وبعض فضلات الطيور والهوام.فإذا ذهبت بها إلى المغسلة ، فإنها تخرج منها أشد ما تكون بريقاً ولمعاناً، كذلك التوبة والاستغفار يغسلان أدران النفس فيُخرجاها نقية طاهرة من جديد.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى العمل الصالح، فانظر كيف تتراكمُ الأتربة على زجاج السيارة فتحجب الرؤية عن

قائدها ، وإذا بالماسحات تجرفُ ذلك كلَّه فتصقلُه وتعيد إليه الصفاء ووضوح الرؤية، كذلك الحسناتُ تجرف تلك السيئاتِ التي تُكوِّن الرانَ والصدأَ على القلبِ فتصقلُه من جديد وتعيد إليه الضياء والنور.

٢ـ ترك العلائق :

والعلائق هي كل ما تعلَّق به القلب من رئاسة أو منصب أو جاه أو صديق أو قريب.

فإنه بالرغم من التنظيف والإصلاح فقد تتبقى بعض العوالق (البقع الصعبة) فقد لا تذهب إلا بمواد قوية التأثير كالكلور أو أدوات الكشط والكحت من المنظفات.

وهذه الأمور لا تذهب إلا إذا تعلَّقَت النفس بالله وقدَّمتْ حُبَّه على كل حبٍّ، عندها سيضمحلُّ ذلك الحبُّ ويَخْبُو.

ـ خذ مثلاً على ذلك ، الكرة .. لعبة العصر الحديث، قد تكون من العلائق التي يتعلَّق بها القلب لدرجةٍ تجعله يترك صلاتَه أو يؤخِّرُها عن وقتها من أجل متابعة الحدث فيكون قد قدَّم محبَّتَها على محبة الله لتعلُّق قلبِه بها، فإذا فاجأَه الموتُ وقلبُه متعلِّقٌ بغير الله لقِيَ الله على سوءِ خاتمةٍ والعياذ بالله، وقد شُوهد مثل هؤلاء ساعة الاحتضار يُقال

لأحدهم قلْ لا إله إلا الله فيقولُ : جُول.. جُول. قدَّم اسم محبوبه المتعلِّقِ به .

ـ ذكر ابن القيم رحمه الله :

قيل لتاجر قماش وهو في الاحتضار : قل لا إله إلا الله. فكان يقول : المـتر بـعشرة وذاك بـأربعين. وذلـك لشـدة تعلق قلبه بالمال والتجارة.

ب- صيانة وإصلاح خارجي :



ومن فَينة إلى فَينة قد تحتاج السيارة لاستبدال بعض القطع التالفة (قطع غيار) أو إضافة بعض القطع لتعزز من أدائها ومتانتها ، و تحتاج كذلك لاتباع إرشادات المرور والسير على الطريق المعبّد لا تخـرج عنـه حتـى لا يـؤدي ذلـك لانقلابها وعطبها وتعريض من فيها للخطر. كذلك النفس ويتركّز قسم الصيانة الخارجي بالنسبة لها في أمور أهمها :

١ ـ التزوُّد المستمرُّ من الكتاب والسنة حتى يستقرَّ أمرُه على الصواب ويبتعد عن الخطأ وجوانب الضعف والجهل ويسيطر على قُوى الشرِّ في النفس ليسهل قيادها والتحكم فيها.

فاجعل لنفسك وِرداً يومياً لصيانة النفس وحفظها كآية الكرسي ، وآخر سورة البقرة، والإخلاص والمعوّذات.
ووضع خطة لختم القرآن بصفة دورية في مدة زمنيةٍ محددة.

والمحافظة على شيء من الأذكار اليومية والأوراد .

٢ ـ الصحبة الصالحة : (فالصاحب ساحب) فإن كان صالحاً أعان صاحبه على الخير، وربما دلّهُ على جوانب الضعف فيه فالمسلم مرآة أخيه كما في الحديث ولا يخفى أثر الجليس الصالح والجليس السوء وكما قيل (قل لي من تصاحب أقل لك من أنت).

والصحبة الصالحة يقوم أمرها على التواصي بالحق والصبر وذلك يُصلح النَّفس ويُهذِّبُها قال تعالى :
﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر : ٣] .

٣- مجالس الذكر : ولها أعظم الأثر في إصلاح النفس، وتهذيب الطبع . وإني لأعلم امرأة في عصرنا الحديث

كانت تجتمع مع صحبة سيئة يدعونها إلى الفساد وشرب الدخان، حتى كانت تستهلك أكثر من عشرين سيجارة في اليوم وبفضل من الله لم يرُدَّها عمَّا هي فيه إلا أن اجتمعتْ ذات مرة مع نسوة صالحات دعوْنَها إلى الاجتماع معهن في مجلسهنَّ حتى هجرتْ جليسات السوء وتركتْ تلك السجائر شيئاً بعد شيء واستقام أمرها.

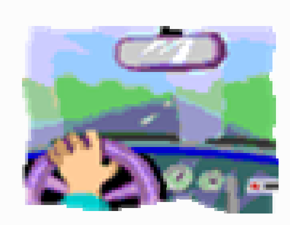
فلِمجلس الذِّكر فوائد عظيمة في صقْل الذات وإصلاحها فإذا استشعر تلك الفوائدَ قائدُها استقام أمرُه وصلح حالُه.

٤ - التزام الجماعة في المنهج فلا يخرج عن جماعة المسلمين ولا يخالفهم بهوىً متبع أو أمر مبتدع ففي الحديث: ((من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)) [1] ومن ذلك التزام صلاة الجماعة للرجل ،فما شرعها الله إلا لما فيها من خير كثير، ودُربة على ضبط النفس ،ونشر للصلاح، وحصول النفع بالاجتماع على الطاعة.



(١) المستدرك على الصحيحين ج١:ص٢٠٣ ورقمه٤٠١. وذكر نحوه أبو داوود والترمذي وقال الألباني صحيح.

مهارات القيادة



إذا تعلم المرء مهارة القيادة فإنه بذلك يكون قادراً على أن يُنجِز الكثير من الأعـمال النافعـة بقليـل مـن الوقـود واليسير من الزاد، ويتكوّن لديه بذلك حاسة جديدة مرهفة يستشعر بها قيمة الموارد فلا يسرف في استهلاكها.

ومَن أحسن قيادة نفسه لا بد وأن يحسن قيادة الآخرين إلى برِّ الأمان وينجح في تربية جيل صالح يُعِزُّ به الله الإسلام والمسلمين. إنه يشعر بأنَّ ما معه من مال نعمةٌ من الله فينفق منه ويوظِّفه في طاعة الله.

ويستشعر بأنَّ ما وهبه الله من صحة ووقت وعلم إنَّما هي في الحقيقة كنـز يجب أن يحـافظ عليـه ولا ينفقـه في التوافـه وسفاسف الأمور.



أول المحطات :

الوصول إلى السعادة : وهي جنة الدنيا الموصلة لجنة الآخرة بإذن الله فمن ذاق من هذه الجنة دخل جنة الآخرة :

قال ابن القيم رحمه الله :

(الإقبال على الله تعالى والإنابة إليه والرضاء به وعنه وامتلاء القلب من محبته واللَّهَجِ بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه يقول : إن في الدنيا جنةً مَن لم يدخلْها لا يدخلْ جنة الآخرة) [١].

---

(١) الوابل الصيب ج١/ ص٦٩.



من أتقن القيادة وصل بالنفس إلى قمة السعادة فيجد نفسه فرداً صالحاً منتجاً ينفع نفسه والآخرين من حوله.

ومَن أجاد القيادة المرّةَ تلو المرّةَ يُصبح بعد ذلك من المَهَرةِ الحاذقين والمحترفين في فنّها فهو يُبدع في قيادة نفسه وإيجاد الطرق لتوفير الوقود والزاد فتكون قيادته أثناء السير على محاورٍ ثلاث :

١ – الإحسان والإتقان :

ـ ينبغي للقائد المحترف أن يسعى للإبداع بعد الإتقان، فيُبدع في قيادته، ففي مجال العبادات كالصلاة ينظر في وضوئها، وخشوعها، وأركانها، والسنن القَبلية والبَعدية، ويتحرَّى إدراك تكبيرة الإحرام...

ـ وفي الصوم يبتعد عمَّا يجرح الصيام من مَشاهدَ أو مَسامعَ ومن جدال أو سباب أو غِيبة ونميمة، وأن يصوم

النافلة .. وأن يُعجِّل الفطورَ ويؤخر السحور، وغير ذلك.

– وفي المعـاملات : أن يَصِــل الأرحـامَ، ويَبُـرَّ الوالـديْن، ويعمل على التخلُّق بـالخلُق الحسـن، فـإن الله يُحـب الإحسان في كل شيء. كانت عائشة رضي الله عنها تُطيِّب مالَ الصدقة قبل أن تَضعَه في يدِ الفقير.

ـ بِشرُ بنُ الحارث الحافي أحدُ كبار التابعين كان قاطعاً للطريق ومِن أشدِّ الناس أذيةً لخلْقِه، وكان سببُ توبتِه أنَّه وجـد قرطاساً كُتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فعَظُمَ ذلك عليه ورفع طرْفه إلى السماء وقال : سيدي اسْمُك ها هنـا مُلقَـىً فرفعـه من الأرض وقلع عنه القذرَ الذي أصابه وأتى عطاراً فاشترى بدرهم طِيبـاً غـاليَ الـثمن لم يكـن معـه درهـم سـواه وطيَّـب القرطاسَ بالطِّيب فأدخلَه شقَّ حائطٍ وانصرف إلى صديق له وكان يُجالسه فقال له يوماً : والله يا أخي لقد رأيتُ لك في هـذه الليلة رؤيا ما رأيتُ أحسنَ منها ولستُ أقولُ لك حتى تُحدِّثَني ما فعلتَ في هذه الأيامِ فيما بينَك وبـين الله؟ فقـال مـا فعلـتُ شيئاً أعلمُه غير أني ... فذكر له الحادثة. فقال له رأيتُ كأن قائلاً يقولُ في المنام قُلْ لبشرٍ يرفعُ اسماً لنا مـن الأرضِ إجـلالاً أنْ

يُداسَ لَنُنَوِّهَنَّ باسْمِك في الدنيا والآخرة. وفي رواية : طَيَّبْتَ اسمي لأُطَيِّبَنَّ اسمك في الدنيا والآخرة[1].

وأصبح بِشرٌ من كبار التابعين بإحسانه في عمل قد يحسَبه الناس هَيِّناً وهو عند الله عظيم. فأنزل الله على قلبه الهدايةَ من ساعتِه حتى صار من العلماء الأجِلاَّء وكان أحمد بن حنبل يُحبه ويُجِلُّه.

فقد يعمل الإنسان عملاً لا يراه شيئاً ولا يعتني به، يرفعه الله به إلى مقام الإحسان.

٢ ـ الإكثار :

أن يحرص المسلم ويُداوم على الطاعة مراعياً الأَوْلَى فالأَوْلَى، ثم يزداد من أداء النوافل شيئاً فشيئاً. ولكن الأفضل ألا ينتقل للزيادة إلا بعد إتقان القليل.

---

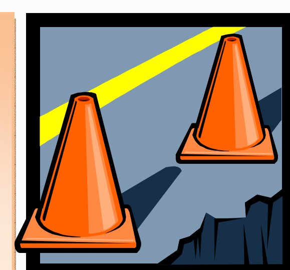
(١) انظر تاريخ مدينة دمشق ج١٠/ ص١٨١.

ـ قال أحد السلف: صحبتُ أحمدَ بنَ حنبل عامين ليلاً ونهاراً، صباحًا و مساءً فلم أجدْه في يوم إلاَّ وهـو أفضـلُ منـه بالأمس.

٣- التنويع :

أن يحرص على أن يكون له من كل طاعة نصيب.

من صدقة، أو صيام، أو صلاة، أو بِرّ، أو حُسن خُلق ....الخ حتى يُدعَى من أبواب الجنة كلها.



ومن مهارة القائد أن يبتعد عن الأماكن الوعرة وغير الممهَّدة حتى لا تستهلك منه الزاد والوقود وهو قادر على سلوك طرق أفضل منها، وأن يحاول اختصار الطريق فيبحث عن الطرق السريعة ذات الجسور أو الأنفاق.

كذلك قائد النفس الماهر ينظر في حاجاته الدنيوية ويحاول أداءَها بأقلِّ زادٍ ووقودٍ ممكنٍ. فهو على سبيل المثال قد يحتاج إلى وظيفة لتلبية حاجاته المالية فعليه أن ينظر في الوظيفة التي لا تستغرق جُلَّ وقته حتى لا تُلهِيَه عن ذِكر الله وسائر الطاعات.

وإذا أكل طعاماً، وهو من الحاجات البدنية، فعليه ألا يُفرِط في ذلك حتى لا تُقعِدَه البِطْنَةُ عن طاعة الله والخشوع في صلاته.

وإذا زار أخاً له في الله، وهو من المتطلبات الاجتماعية، فيجب عليه ألاَّ يُطيل السهر حتى لا يُضيعَ صلاةَ الفجرِ أو صلاةَ التهجُّدِ.

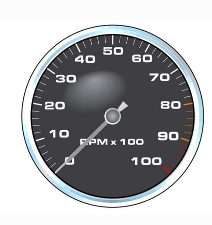


ومن الفطنة في استثمار الموارد لصالح الآخرة احتساب جميع الحاجات والمتطلَّبات عند الله لتتحوَّل من عادة إلى عبادة.

ومما يُؤسَف له أن نجد كثيراً من الناس لا يتنبَّه لهدْر موارده في أمورٍ لا داعيَ لها ولا فائدة تُذكَر من ورائها فمثله كمثل سائق السيارة الذي يسير بها ولا يتنبَّه إلى ثُقب في خزان الوقود فيَقطُر منه الوقودُ على الأرض ذاهباً سُدَىً وهو لا يعلم.



هيئ العداد



إن عدّاد السيارة يقيس المسافة أثناء السير حتى الوصول إلى الهدف. كذلك السائر إلى الله فإن قربه من الله يقاس بمقدار ازدياده من الطاعات .





الطاعة قُربٌ إلى الله.

والمباحات وقوف مؤقت إلا في حالة احتسابها.

والسيئات تراجع وتقاعس ويكون الرجوع بها عن الطريق بحسب حجم المعصية ونوعها.

ومن طرق الترشيد التي ينبغي أن يتنبّه لها السائق طريقـة (تهيئـة العـدّاد وتشـغيله) وهـو الانتبـاه لأداء الـنفس ومحاسبتها بالنظر إلى عداد التشغيل الذي يتميز بأمور ثلاثة :

أ ـ الحسابُ بالزيادةِ والمضاعفاتِ :

وهي طرق كسب الثواب من عدة أوجه وبطرق مختلفة في آنٍ واحد عن طريق الدلالـة عـلى الخـير فينـال أجـورَ غيرِه من غير أن يَنقص من أجورهم شيء أو بتشريك النية كأن ينوي بصدقته على ذي رحِمِـه صـدقةً وصـلةً. أو ينـوي

بالاستحمام النظافة والطهور للصلاة والغسل لصلاة الجمعة مثلاً.

ـ أن ينوي بسفره لأداء العُمرة والصلاةِ كذلك بالمسجد الحرام، فإن ثـواب قصـد المسـجد للصـلاة كحَجَّـة إذا كانت فريضة وكعُمرة إذا كانت نافلة كما قال ﷺ : ((مَن مشَى إلى صلاة مكتوبة وهو متطهِّرٌ فأجرُه كأجرِ الحاجِّ المُحـرِم ومَن خرجَ إلى تسبيحِ الضُّحَى لا يُنصِبُه إلا إيَّاه فأجرُه كأجرِ المعتمرِ وصـلاةٌ عـلى إثـرِ صـلاة لا لغـوَ بيـنهما كتـابٌ في عِلِّيِّين)) [(١)].

وبهذا يكون قد جمع أكثر من عمرة في سَفْرة واحدة ويُحسب له ثواب خطواتِ سـفره ذهابـاً وإيابـاً وبإمكانـه أن يضيف على ذلك ثواباً آخر فإن كان له قريب أو مريض وصَلَه حتى يُكتب له ثواب صلة الرَّحِم ويَجني طـوال طريقـه

(١) مسند الإمام أحمد وحسنه الأرناؤوط ج٢ ص٣٥٧. وتسبيح الضحى يريد صلاة الضحى وكل صلاة يتطوع بها فهي تسبيح وسبحة . وقوله لا ينصبه : أي لا يُتعبه إلا ذلك ولا يجد مشقة إلا بسببه.

مِن خراف الجنة كما ثبت في الحديث. قال ﷺ : ((إذا عادَ الرجلُ أخاه المسلمَ مشَى في خرافةِ الجنَّة حتى يجلسَ فإذا جلس غمرتْه الرحمةُ فإن كان غدوةً صلَّى عليه سبعون ألفَ ملَكٍ حتى يُمسي وإن كان مساءً صلى عليه سبعون ألفَ ملَكٍ حتى يُصبح)) [(١)].



وهكذا ينبغي للقائد الماهر أن يُوقد جذوة ذكائه ويُشعل همَّته في التخطيط لكسب الحسنات لأنه ما من عبد إلا وسيندم يوم القيامة، المحسن ألا يكون أكثر، والْمُسِيءُ ألا يكون أقلع، والقاعد ألا يكون قام وعمل.

إننا نعمل أعمالاً كثيرة ولا نحتسبها كالنوم،والأكل، والاستحمام، والزيارات، وتعليم الأبناء في المدارس، حتى محاربة الأعداء قد ينوي البعض بها الثأر أو الانتصار للوطن وينبغي أن تكون لرفع راية الله ولتكون كلمته هي العليا.

---

(١)الأحاديث الصحيحة للألباني ج٣ ورقمه ١٣٦٧، وخرافة الجنة أي اجتنى من ثمرها .

فلنُبدعْ في قيادة النفس ولنتعلّمْ أُسس وأساليب قيادتها لنرتقي بها ونصل بها إلى الهدف المنشود.

الكسب الميلي: (mileage plus)

دأبت بعض شركات الطيران على منح المسافرين على متنها نقاطاً إضافية تسمى التعويض والكسب المـيلي(mileage plus)كلما سافروا عن طريقها إلى مسافات بعيدة وقطعوا أميالاً عديدة، فتكـافئهم بـذلك مـا تغطـي بـه نفقـات تذاكر أخرى في رحلات تالية بنسبة معينة في الميل الواحد كنوع من التحفيز لاختيارهم السفر على متنها في كل مرة .

وحينما كنت طالباً في الولايـات المتحدة فـزت بتذاكـر لي ولعائلتي لآلاف الأميال كمكافأة ميلية لتكراري السفر عن طريقهم فسافرت إلى ولاية كليفورنيا وجزر هاواي ذهاباً وإياباً بتذاكر مجانية .

هذا التحفيز والتشجيع البشري فكيف بالتحفيز والتشجيع الرباني المبني على بحار الكـرم اللانهـائي فقـد هيـأ الله

تعالى لعبده المسافر إليه نقاطاً زمانية كرمضان والعشر من ذي الحجة[١] ونقاطاً مكانية كـالحرمين الشريفـين لتضـاعف من سرعته وتمنحه ملايين الأميال من القرب إليه فكلما حث السير إليه ضاعف له من سرعته وتكرم عليه بما لا يحتسبه من القربـات كيف لا وهو أكرم الأكرمين فقد ثبت في الحديث القدسي عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعـــالى قـــال : ((إذا تقرب العبد إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإذا تقرب إلي ذراعا تقربت منـه باعـا وإذا أتـاني يـمشي أتيتـــه هرولـــة)) [٢].

---

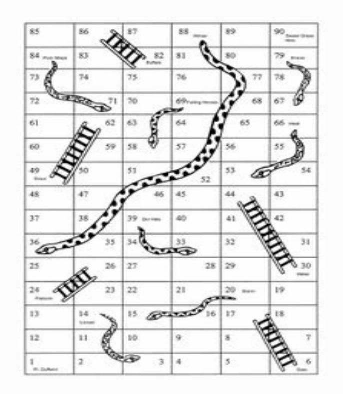
(١) ومن أمثلة المضاعفات ليلة القدر فإن من أدركها كتبت له عبادة ثلاث وثمانين سنة وبضعة أشهر، والعبادة في أرض الرباط بألفي ألف (أي مليون) سنة وكذلك مضاعفات الصلاة بالمساجد الثلاثة وغير ذلك للمزيد انظر كتابنا الاستثمار الأمثل ص ١٠٤_ ١١٢..

(٢) صحيح البخاري ج٦/ ص٢٧٤١ورقمه ٧٠٩٨.



ب ـ الحسابُ بالنقصانِ :

إن السائق يحصل على نقاط مخالفة إذا قطع إشارة المرور ، أو خالف طريق السير ، أو خالف أي من قواعد المـرور وتكون هذه النقاط ضده وهو مؤاخذ بها . كذلك النفس فإنها تحصل على السـيئات كلـما خالفـت حـدود الله ونواهيـه وذلك يجعل المرء دائم التنبُّهِ إلى عدم اقتراف السيئات لأنها مسجلة عليه و هو مؤاخذٌ بسببها .



واعتبر أيها القائد بلعبة (السلّم والثعبان) الشهـيرة ،وخذ منهـا الفائـــدة والعظـة[1] مـا الـذي يجعـل الإنسـان يصـعد ويرتقي وإذا بعمل ما لا يحسب له أي حساب يهوي به ليبدأ الصعود من جديد.

تخيل وأنت تصعد إلى الله صعود السلّم أو المرتفع وأثناء الصعود تنبَّه واحذر الثعابين (السيئات) والتي مـا إن يُبـتلى بهـا

---

(١) إلا أن هذه اللعبة تعتمد على الحظ، والسير إلى الله يعتمد بعد توفيق الله على التخطيط والالتزام.

العبد حتى تنحدر به شر انحدار، فيضطر بعد التوبة والإنابة لمعاودة الصعود من جديد وتتفاوت شدة الانحـدار مـن ثعبـان لآخر بحسب حجمه وشراسته كذلك الانحدار بعد الصعود أثناء السير إلى الله يتفاوت من معصـية لأخـرى بحسـب نـوع المعصية والإصرار عليها.



ج ـ الحساب بالصفر لا له ولا عليه :

وذلك كالمباحات.

ويستطيع القائد المبدع تحويل خانة الأصفار هذه إلى خانة توفير ومكسب باحتساب النيّة في المباحات. فيحوّل المباحات إلى عبادات وأكثر من ذلك يحوّل النوايا إلى حسنات كما قال أحد السلف : (دَعِ النيّة تعملْ عنك).

ـ كأنْ ينويَ بصدقٍ أن يختم القرآن كل أسبوع فلو لم يفعلْ لعائق ما كتب له عند الله.

ـ أنْ ينوي صلة الرحم كلَّ أسبوع ولو عن طريق الهاتف فإنه لو نسي ذلك فإن الله تعالى لا ينساها فيكتبها له كاملة، ويُثيبه عليها.




و الآن أجب على الأسئلة التالية
لتحصل على رخصة القيادة
ما هي أهمية و فوائد قيادة الذات؟
ماهي الذات و ما هي مكوناتها؟
هل لها جهاز تشغيل ؟
ما هي خارطة الطريق التي ينبغي السير عليها؟
ما هو الهدف الأساس لكل نفس؟
ما هي الطرق الموصلة للهدف؟
ما هي الوسيلة التي تحقق الهدف؟
ماهو الوقود والزاد الذي تحتاجه ؟
ما هي العوائق في طريق الذات ؟
ما هي حاجات ومتطلبات الذات ؟
من هم أعداء الذات ؟
من هم جنود ها للتغلب على الأعداء؟
هل تملك الذات جهاز إصلاح ؟



وختاماً ..

أخي القائد أنت الآن مؤهَّلٌ لنيل رخصة القيادة والسير في دروب الحياة ببصر ثاقب وحكمة وتبصُّر فسِرْ على بركة الله ولا تنسَ دعاء السفر واستعنْ بالله ولا تعجزْ. أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك.



فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة